



التقويم، مشابهة في دقتها ما يُستخدم حالياً لدقة التوقيت في عصرنا الحالي، وجاءت مدينة «كومالكوكو» (ولاية تاباسكو) أقصى غرب المايا-موطن شجرة الكاكاو، والتي كانوا يستخدمون بذورها كعملة للمقايضة على سلع تحضرها شعوب مجاورة وبعيدة للتبادل التجاري، واعتُبرت مدينة «كينتابارو» التي أنشئت عام 623م أهم مركز ديني في شبه جزيرة «يوكاتان» في الشمال الشرقي لحضارة المايا، وكانت تحج إليها الشعوب القريبة منها، وكان لهم أيضاً أهم مركزين تجاريين: مركز «اكساكتون» (600 ق.م حتى 889م)، ومركز «تيكال» (800 ق.م حتى 869م)، وكانا يشكلان موقعين استراتيجيين، حيث إنهما يقعان بين نهريْن يصبان في خليج المكسيك وبحر كاربيبي.



ما سبب اندثار حضارة المايا المفاجئ أو المنظم؟

تعددت توقعات وتكهنات أسباب اندثار حضارة المايا المفاجئ ودون سابق إنذار. هل هذا حقيقة أم أنها خدعة المستعمر الجديد؟

1- بدأت حضارة المايا في وسط أمريكا بتاريخ 11 آب 3114 ق.م، وذلك استناداً على تقويمها الذي يعتمد العدد الطويل، ونشأت على ساحل المحيط الهادئ في منطقة «سوكونوسكو»، التي كانت تسكنها- قبل مجيئهم- شعوب «الميكسي» و

فهو ليس تنبؤاً أو شعوذة ساحر، بل هو علم قائم بذاته، وما نشهده من تغيرات مناخية منذ عقود يثبت فعالية تقويمهم خاصة على مدى 12 سنة، وسيستمر حتى تنتهي 52 سنة، أي منذ بدء الألفية الثانية. وربطه بتحذيرات علماء المناخ والجيولوجيا بالتغيرات التي تحصل على الكرة الأرضية، من ذوبان جبال الجليد والفيضانات وتضاعف قوة الأعاصير والجفاف وحمى الحروب المستمرة.

وكانت كتابات المايا رمزية، شبيهة بالهبروغلييفية الفرعونية المصرية، ودوّنت مخطوطاتها على الأعمدة الحجرية والمذابح والمعابد وعوارض الأسقف والعتبات وجدران الكهوف، ورسمت على الأواني الخزفية، ونقشت على المعادن والأحجار الكريمة، أما الأرقام لديهم فهي مختلفة أيضاً عن علم الأرقام عند الحضارات السابقة وأشكالها، الوحدة تساوي نقطة «.»، والخمس وحدات تساوي قضيب «-»، والعشرون وحدة تساوي هلالاً «∪»، كما اتخذوا صوراً من الحيوانات والإنسان كوحدة عددية، وكانت كتبهم مصنوعة من لحاء الأشجار ليدونوا عليها حساباتهم وآدابهم وتقويمهم وأساطيرهم ومعتقداتهم، ونقشوا رموزهم على الأحجار الكريمة الخاصة للملوك والأمراء ورؤساء الكهنة، وأرباب الأدب واللغة والحساب والعلوم الفلكية.

عبقريّة هندسة المدن عند شعوب المايا

شهدت مدنهم ومعابدهم- عبر التاريخ- تطوراً مهماً، فبنوا معابدهم على أعلى قمة الهرم، وكانوا يرمون أضحيتهم من أسرى أعدائهم بعد أن يصبغونها باللون الأزرق من أعلى القمة لتسقط جثة هامة عقوبة لكل من يعتدي على أرضهم، وتطوّرت مدنهم لتتوافق مع تضاريس جبالهم الوعرة، فجاءت أشبه بالحصون والقلاع، تحسباً للغزاة الذين يستهدفونهم دائماً، طمعاً بمياهم ومحصولاتهم الزراعية، وبنوا «الأكروبول الملكي» ومراصدهم الفلكية لمراقبة النجوم والكواكب التي يعتمد عليها وجود حضارتهم، كذلك كان لديهم ملاعب لكرة القدم، وكانوا يحيطون مدنهم بالأسوار شأن معظم الحضارات السابقة، أما أهم مدنهم «كوبان»: وهي (هندوراس اليوم)، فهي أكثرهم جمالاً وروعة في الهندسة، وأنشئت عام 736م، وهي المركز العلمي للمايا.

واختلفت عند شعب المايا أشهر السنة عن السنة عند الشعوب الأخرى، فحدّدوا مدة السنة المدارية فكانت 18 شهراً بدل 12 شهراً عند الحضارات السابقة (بلاد ما بين النهرين)، إلا أن الشهر عندهم 20 يوماً، ويحتفلون بعيد رأس السنة في كل عام، ويضيفون خمسة أيام على السنة وتكون هي مدة أيام الاحتفال، وكذلك وضعوا جداول الخسوف والكسوف والمعادلات لضبط

ليستتروا به ويفنوا شعباً وحضارة عاشت ثلاثة آلاف عام دون مزاحم، بحجة تدمير الوثنية ومعابدها، فأحرقوا معظم مكتباتهم وما فيها من تقويمات فلكية وحسابية وطبية، وغيرها من الفنون الصارخة بأجمل الزخرفات في معابدها، ولم يصل للعلماء سوى النذر القليل الذي يعرف عنها اليوم.

الفنون في حضارة المايا

تطوّرت فنون المايا خلال 3000 عام من وجودها لتصل في فترتها الكلاسيكية ما بين 200-950م إلى أجدود تقنية حرفية عرفتها، تظهر جمالية نقوشها ومنحوتاتها الجصية في «باليكي»، وتماثيلها في «كوبان»، المجسدة بدقة لتظهر شكل الإنسان القديم، إلا أنه لم يبق منها سوى نذر يسير، وبعض الأبنية التي نجت كمعجزة لتثبت لعالمنا اليوم همجية الغازي (أبنية وجداريات «بوناباك» بلونها الفيروز الذي مازال يحتفظ بجماله كجمالية جداريات مقابر أهرامات الفراعنة)، وفي «سان بارتولو» جداريات فنية وأيقونات متقنة تظهر قمة تطورها وروعته بإظهار أسماء فنانيها مذيلة بنهاية اللوحة أو الأيقونة كالفن المعاصر اليوم.

الهندسة العمرانية

تكمن عبقرية الهندسة عند شعوب المايا في أهراماتهم العجائبية، والتي تعود لأكثر من 3 آلاف عام، والتي تضاهي بهندستها أهرامات الفراعنة، رغم صغرها من ناحية الضخامة والمساحة والطرق الهندسية، إلا أنها تحاكي الموت والبعث والعودة للحياة من جديد، كذلك كهوفها العجيبة (كهف ناج تينش، جولجا، كانديلاريا، كهف الساحرة)، أما الكهوف الحديثة «مرتفعات شيتاباس» التي أرخ أديابها أساطيراً، مستوحين ذلك من النقوش والميتالوجيا المحضرة والمرسومة على جدران تلك الكهوف.

وقد عُرفت شعوب المايا بإصرارها على إبقاء حضارتها حية وخالدة، فكانوا يعيدون بناء أهراماتهم أو يرمّمونها بما يتوافق مع تقويمهم السنوي الذي يحصل كل 52 عاماً، ويشرف عليه الملك شخصياً ورئيس الكهنة، وأهم معبد كان «الأكروبول» في شمال «تيكال» رغم إجراءات التعديلات عليها على مدى 1500 عام، إذ اعتمدا على الرقم 9 في بنائهم لتلك الأهرامات، فجاءت تسعة أهرامات متشابهة الشكل، وتميّزت بهندسة متناسقة مع أساليبها الفنية، وأهمها هرم «باكساوكلسلو»، واستخدمت هذه الأهرامات لإحياء ذكرى نهاية 20 عاماً تُعرف بـ «دورة كاتون»، مما يجعلنا نتعرف على تقويم المايا الفلكي، فهو ليس مجرد حسابات رقمية أو رياضية، بل معتمدة على الفلك بكل أجرامه السماوية وتأثيراته على الأرض والتغيرات التي تطرأ عليها من خلالها،